

د. سعيد بن محمد الريامي

محاضر كيمياء حيوية، كلية عمان
لطب الأسنان
mulabdul@gmail.com

علاجات الشيخ منصور بن ناصر الفارسي: مدخل لفهم منهجية الأطباء القدامى في تشخيص وعلاج الأمراض

المُلخَص:

يرتكز هذا البحث على سؤال مفاده: هل هناك من نظرية فكرية واضحة وثابتة وقابلة للدراسة تستند عليها الممارسة الطبية عند قدماء الأطباء؟ أم أن الطب القديم ليس سوى مجموعة مجرّبات متوارثة تراكمت عبر الزمن؟ ويستند البحث في محاولته للتعرف على نظرية الأقدمين في الطب على إطار مرجعي يتمثل في الفلسفة التي تقوم عليها الممارسة الطبية في العصر الحديث، والتي تتخذ من مجموعة من المعارف العلمية التطبيقية أساساً لها في تعليم الطب وإجازة الطبيب. هذه المعارف هي علوم جسم الإنسان وعلوم الأمراض ومهارات الطب السريري والعلوم التشخيصية، ثم أخيراً علوم الأدوية والمعالجات. ويتخذ البحث مدخلاً لذلك وثيقة للشيخ منصور بن ناصر الفارسي احتوت على قائمة طويلة من الأمراض ومسبباتها وعلاجاتها. وعبر بحث في بعض مراجع الطب القديمة - العمانية وغيرها - ثم دراسة الوثيقة وتحليلها في ضوء هذا البحث، تتضح معالم الفلسفة الطبية القديمة التي قامت عليها منهجية الممارسة الطبية سواء عند الشيخ منصور الفارسي أم عند غيره من الأطباء العمانيين وغير العمانيين. وهي منهجية ذات أسس واضحة تتقاطع حيناً مع الأسس التي تقوم عليها ممارسة الطب الحديث وتختلف معها أحياناً أخرى.

كلمات مفتاحية

منهجية . الطب القديم . الطب الحديث . طبيعة الأشياء . الأخلاط.

المقدمة:

تذكر الموسوعة العمانية^(١) أن المؤرخين العرب يقسمون الممارسة الطبية عبر العصور إلى ممارسة عملية مبنية على التنظير العلمي والفلسفي، وهي التي يجمع فيها الطبيب بين الممارسة العملية لمهنة الطب الدوائية أو الجراحية والتدوين المستمر لما يقوم به من أبحاث عملية أو يضعه من تنظيرات فلسفية، وأخرى يكتفي فيها الطبيب بكونه ممارساً لعلاجات طبية تعلمها مباشرةً من أسلافه أو قرأها في كتب سابقيه من الأطباء. وفي عُمان يبرز الطبيب الشيخ راشد بن عميرة الرستاقي - الذي عاش في الفترة التي امتدت بين أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر - كأوضح مثال على أطباء المجموعة الأولى الذين برزوا في الطب ممارسة وتجربة وتنظيراً وتأليفاً. فراشد بن عميرة - كما يذكر محقق كتابه "مختصر فاكهة ابن السبيل" - له من المؤلفات الطبية ما يربوا على العشرة، لا يكتفي فيها ببيان الأمراض وأسبابها وعلاماتها وطرق تشخيصها، بل يتوسع في مؤلفاته إلى تفصيلات في علوم التشريح وعلم وظائف الأعضاء وأساليب العلاج المختلفة وطرق تحضير الدواء. أما الشيخ منصور بن ناصر الفارسي - الذي تحاول هذه الورقة التعرف من خلال علاجاته على فهم المنهجية التي كان الأطباء القدامى يتبعونها في تشخيص الأمراض وعلاجها - فهو ربما ينتمي إلى المجموعة الثانية التي اکتفت بالممارسة العلاجية دون التأليف أو التنظير الطبي، متخذاً من منهجية القدماء وعلومهم طريقة في ممارساته العلاجية. أما السبب الذي أفضى بالباحث إلى تصنيف الشيخ منصور الفارسي ضمن الفئة الثانية من الأطباء فهو غياب مؤلفاته الطبية رغم اشتغاله بممارسة الطب. ولعل سبب ذلك يعود إلى اشتغاله أساساً بعلوم الفقه واللغة والأدب التي برز فيها فكان أحد أعلام زمانه. وما مؤلفاته العديدة - التي اقتصرت على هذه المجالات دون الطب - إلا دليل على سعة وعمق علمه وتفرغه لهذه العلوم، دون الطب أيضاً - الذي اكتفى منه بالممارسة العملية وبرع فيها.

(١) الموسوعة العمانية، المجلد السادس، ط ١، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٣٤/٢٠١٣. ص ٢٢٤٣

وانطلاقاً من هذه الحقيقة - وهي غياب التدوين والتنظير الطبي المكتوب عند الشيخ الفارسي - والحقيقة الأخرى، وهي كون الشيخ الفارسي عالماً وفقهياً ومفكراً ومؤلفاً بارزاً يستند في علومه إلى منهجيات واضحة، يتبادر إلى الذهن سؤال منطقي حول المنهجية التي كان يتبعها الشيخ الفارسي في التعامل مع الحالات المرضية التي يتولى فحصها ووصف الدواء لها، وفي تقسيم الأمراض وتشخيصها وتفسير الأعراض التي يعاني منها المرضى الذين كانوا يلجؤون إليه. كما يحيلنا هذا التساؤل عن منهجية الشيخ الفارسي تلقائياً إلى سؤال مشابه عن المنهجية المتبعة عند الأطباء القدماء ممن عاصروه أو سبقوه.

في هذه الورقة يحاول الباحث - من خلال تحليل لوثيقة مطبوعة تحتوي على قائمة من العلاجات التي كان الشيخ منصور بن ناصر الفارسي يمارسها - أن يجيب على التساؤل أعلاه، وأن يتبين من خلال هذه الوثيقة ما إذا كانت هناك من مرجعية علمية يستند إليها الشيخ منصور في تشخيصه للأمراض، أو منهجية تطبيقية ثابتة يمارسها عند الفحص للتعرف على علامات المرض ووصف العلاج. وقد وردت هذه الوثيقة إلى الباحث عن طريق الشيخ ناصر من منصور بن ناصر الفارسي الذي قام بتجميعها من وثائق وقصاصات متفرقة كان أبوه الشيخ منصور قد دونها في فترات متفرقة من حياته. احتوت الوثيقة على ما مجموعه ١٢١ مرضاً تم تصنيفها إلى ثمانية أبواب كما هو موضح في الجدول رقم (١) أدناه.

الباب	الأبواب الفرعية للأمراض	الأمراض / العضو المصاب كما جاء ذكرها في القائمة
١	أمراض خارج الجسم	الجلد
٢	أمراض داخل الجسم	الرأس، الأذن، الفم، الأنف، الحلق، العين، الرقبة
٣	أمراض الصدر	الرئتان، القفص الصدري
٤	أمراض المعدة	الجهاز الهضمي
٥	الأمراض الباطنية	الجهاز البولي، المرارة، القلب، الكبد، القولون، فتحة الشرج
٦	الأمراض الشائعة	الشلل، داء الفيل
٧	أمراض الدم	الصفار، فقر الدم، الرعاف
٨	أمراض المفاصل والعظام	المفاصل، العظام

الجدول (١): تصنيف الأمراض كما وردت في وثيقة الشيخ منصور الفارسي

الإطار المرجعي للبحث:

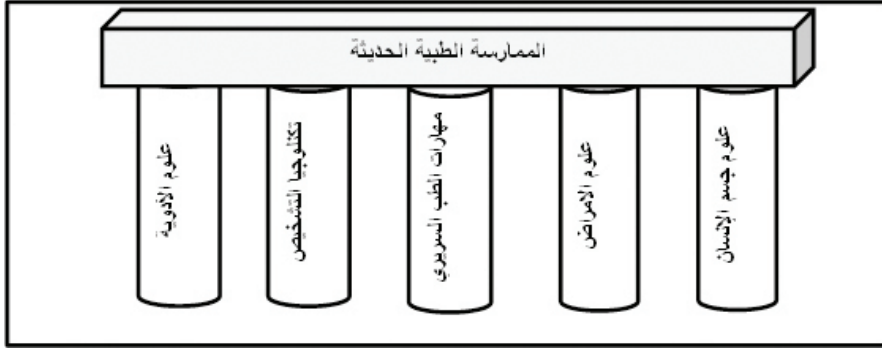
يستند البحث في هذه الورقة إلى إطار مرجعي يتمثل في المنهجية العلمية الحديثة المتبعة في ممارسة الطب. حيث تتم محاولة التعرف على منهجية الأطباء القدماء - التي يمثلها في هذا البحث الشيخ منصور الفارسي - من خلال عمل مقارنة مع المنهجية المتبعة حالياً في دراسة وممارسة الطب، وذلك من خلال التعرف على الأسس المعرفية المكونة لكلا المدرستين، والتي يستند عليها الأطباء في فهم منشأ الأمراض وطرق تشخيصها وعلاجها والوقاية منها، والتي يمكن استخلاصها من كتب الطب الحديثة ككتاب مبادئ طب الأمراض الباطنية لهاريسون مثلاً^(١).

المنهج العلمي الحديث في التعامل مع المرض:

تستند الممارسة الطبية الحديثة على مجموعة من الأسس المعرفية التي تشكل قواعد أساسية تعتمد عليها مدارس وكليات الطب في العالم لتخريج أطباء قادرين على تشخيص الأمراض ووصف الأدوية المناسبة لعلاجها، كما في الشكل رقم (١). وقد نشأت هذه المعارف - التي هي الزاد اليومي للطبيب في عيادته - إثر جهود علمية قام بها علماء ومختصون خارج نطاق الممارسة الطبية اليومية في

1) Larry J., Jameson A. et al. (2015) Harrison's Principles of Internal Medicine. New York, McGraw-Hill.

العيادات والمستشفيات، في بيئات معملية تحكمها ضوابط وقوانين علمية صارمة. ويمكن تلخيص هذه الأسس المعرفية فيما يلي:



الشكل رقم (١): الأسس المعرفية التي تقوم عليها الممارسة الطبية الحديثة

أولاً: المادة العلمية اللازمة لفهم الجسم البشري والوظائف الطبيعية لأجهزته وأعضائه وأنسجته وخلاياه

إن من البديهي أن يكون التعرف على تفاصيل الجسم البشري التشريحية والوظيفية شرطاً أساسياً من شروط إتقان مهنة الطب. وتضطلع بهذه المهمة مدارس وكليات شتى في العالم بعضها يُدرّس الطب وكثير منها متخصص في بحث وتدريس هذه العلوم فقط. ويكفي هنا أن نذكر أمثلة على هذه العلوم كعلم التشريح الذي يُعنى بدراسة التفاصيل الدقيقة لتركيب الجسم البشري وأعضائه المختلفة، وعلم الفسيولوجيا الذي يبحث في وظائف الأعضاء، وعلم الكيمياء الحيوية الذي يفند وظائف الخلية المختلفة وتفاعلاتها، وعلم الأجنة وعلم الخلايا والأنسجة وعلم الأدوية وغيرها كثير.

ثانياً: دراسة وفهم علم الأمراض وكيفية نشوئها وتطورها في جسد المريض

تتعدد الطرق التي تُقسم بها الأمراض في مراجع الطب الحديث. إلا أن التقسيم الغالب هو ذلك الذي يمكن أن يطلق عليه التقسيم التشريحي - وظيفي، والذي يقسم الأمراض حسب ما تصيبه من أجهزة وظيفية في الجسم. فهناك أمراض الجهاز الدوري وأمراض الجهاز التنفسي وأمراض الجهاز البولي وأمراض

الجهاز العصبي، وهكذا. ويتيح الفهم المتعمق لتشريح ووظائف الأعضاء في كل جهاز من أجهزة الجسم للطبيب التعرف على ما يعترى هذه الأعضاء ووظائفها من خلل خلال المرض.

كما يُعد فهم مسببات الأمراض من الأمور بالغة الأهمية في عملية التشخيص والعلاج، حيث تختلف سيرورة المرض وتطوره حسب مسبباته. ويمكن حصر مسببات الأمراض - كما يتم تدريسها حالياً في كليات الطب فيما يلي:

١. الميكروبات: وهي الكائنات الحية المجهرية كالفيروسات والبكتيريا والفطريات وغيرها. حيث تنفذ هذه الكائنات عبر منافذ الجسم الطبيعية أو غير الطبيعية - كالجروح مثلاً - وتهاجم الجسم مسببة أعطالاً وظيفية محددة مما يترتب عليه ردة فعل وهجوم معاكس من قبل الجهاز المناعي في جسم المريض. وهذه تسمى الالتهابات الميكروبية.

٢. الاختلالات الجينية: وهي تغيرات وطفرات تطرأ على الجينات الحاملة لشفرات تكوين الجنين البشري؛ مما ينتج عنها اعتلالات تشريحية أو وظيفية في الجنين. وهذه ينشأ عنها ما يعرف بالأمراض الوراثية.

٣. الاختلالات الأيضية: وهي تغيرات تحدث في عمليات الأيض الطبيعية في داخل الخلية. هذه العمليات هي المسؤولة عن إنتاج الطاقة في الجسم، إلى جانب ما يعرف بعمليات البناء والهدم داخل الخلية. ولعل مرض السكري هو أهم الأمراض في هذه المجموعة.

٤. الإصابات والحوادث: وهي ما يتعرض له جسم الإنسان من إصابات أثناء ممارساته الحياتية المختلفة. ومع أن الكسور والحروق هي الأكثر شيوعاً في هذه المجموعة، إلا أن الإصابات والحوادث متعددة ومتنوعة ويمكن أن تطل أي مكان في الجسم.

٥. اختلالات الجهاز المناعي: وهذه تشبه إلى حد بعيد تلك التي تحدث في عمليات الأيض بل وتتقاطع معها كثيراً؛ حيث تتسبب هذه التغييرات في نوع من

التشويش الذي ينتج عنه خلط بين ما هو خاص بالجسم وما هو خارجي مما يؤدي إلى إفراز خلايا الجهاز المناعي لأجسام مضادة تهاجم خلايا الجسم مسببة تلفاً يؤدي إلى اعتلال وظيفي. ولعل أمراض الغدد كالغدة الدرقية والكظرية من أكثر هذه الأمراض شيوعاً في هذه المجموعة.

ثالثاً: إتقان مهارات الطب السريري اللازمة للتعامل مع المريض

وتشمل هذه المهارات ما يلي:

١. معرفة تاريخ المرض وأعراضه:

يحاول الطبيب من خلال أسئلة محددة وموجهة أن يتبين الأعراض التي يعاني منها المريض، مع تنفيذ مفصل لكل عرض من حيث حدته ومدته وموقعه في الجسم. وتعكس أعراض كل مرض ما طرأ من تغيير على وظيفة العضو الجسدي أو الجهاز الوظيفي المصاب. وقد تشترك مجموعة من الأمراض أحياناً في نفس الأعراض، خاصة تلك التي تنتج عن خلل وظيفي أو تهيج لجهاز من أجهزة الجسم ذات الانتشار التشريحي والوظيفي الكبير في الجسم، كالجهاز العصبي مثلاً.

٢. الفحص السريري للمريض:

يقوم الطبيب بفحص جسد المريض حسب منهجية تستند إلى تقسيم الجسد إلى أجهزته الوظيفية المعروفة (الجهاز التنفسي والجهاز الدوري والجهاز الهضمي.. الخ) في محاولة منه للتعرف على آثار المرض وعلاماته التي تركها على جسد المريض.

جدير بالذكر أن الأعراض التي يشعر بها المريض والعلامات المرضية التي يحدثها المرض في الجسد عادة ما تكون محددة ومميزة لكل مرض، مع اشتراك مجموعة منها في نفس المرض أحياناً - كما تمت الإشارة سابقاً.

رابعاً: إجراء الفحوصات المختبرية التأكيدية:

تتنوع الفحوصات التي يجريها الطبيب لتأكيد أو نفي ما توصل إليه من تشخيص

مبدئي عبر الخطوتين السابقتين، لتشمل الفحوصات المخبرية التي تُجرى على سوائل وإفرازات الجسد كالدّم والبول والبراز والمخاط، إلى جانب الفحوصات الإشعاعية والفسيوولوجية وغيرها حسب ما تقتضيه قائمة التشخيص المبدئي.

خامساً: الإلمام بطرق التداوي ووصف العلاج:

ويكون ذلك عن طرق وصف المواد الكيميائية - وهي الأدوية - أو الطرق الأخرى كالجراحة وغيرها. ويقتضي ذلك دراسة مستوفية لعلوم الأدوية والصيدلة. بعد إجازته في كل هذه العلوم والمهارات يصبح الطبيب قادراً على التعامل مع المريض تشخيصاً وعلاجاً.

الأسس المعرفية للممارسة الطبية عند أطباء عمان قديماً:

لا تختلف الرؤية قديماً عما هي عليه اليوم فيما يختص باشتراطات الترخيص بممارسة الطب. فالطبيب قديماً - كما هو الحال الآن - يُشترط أن يكون لديه الأسس المعرفية المتفق عليها لممارسة الطب. وقد اعتمد الأطباء في عمان قديماً على ما توفر لديهم حينها من المعارف الطبية التي شملت كثيراً من كتب أطباء اليونان الأقدمين وغيرهم من مشاهير الأطباء العرب والمسلمين. فقد اعتمد الشيخ الطبيب راشد بن عميرة الرستاقى - مثلاً - في ممارساته وتأليفاته الطبية على كتب جالينوس وأبقراط إلى جانب كتب الأطباء العرب من أمثال محمد بن زكريا الرازي ومهدي بن علي الصنبري^(١). كما أنهم اشترطوا لممارسة الطب إتقان العلوم النظرية والعملية اللازمة لذلك. فأبو محمد الأزدي في كتاب الماء يصنف الطب إلى طب نظري وطب عملي^(٢). أما النظري فهو ما يختص بمعرفة أعضاء الجسد ووظائفها وكذلك معرفة الأمراض وأسبابها والأدوية واستعمالاتها. والعملية هو التدريب على الممارسة الطبية على أيدي أطباء ذوي خبرة.

(١) الأزرق، إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر: تسهيل المنافع في الطب والحكمة، ط٢، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص٢٥.

(٢) داود، سليمان داود: النباتات الطبية لأبي محمد الأزدي الصحاري، ط١، دار الحكمة، لندن، المملكة المتحدة، ٢٠٠٥، ص١٨.

وجه الاختلاف بين الممارسة الطبية القديمة والحديثة إذاً لا يكمن في الشروط والمحددات اللازمة لممارسة مهنة الطب، وهي إتقان العلوم والمهارات اللازمة لممارسة الطب، بل في ماهية المعارف الطبية التي تغيرت وتطورت مع الزمن. فبالإضافة إلى ما توفر حينها من معرفة في مجال علم التشريح ووظائف الأعضاء وعلم الأدوية والأعشاب - مما لا داعي للتفصيل فيه هنا - تبرز عناصر أخرى ذات أثر بالغ في تشكيل المعرفة الطبية التي بُنيت عليها الممارسة العملية للطب في ذلك الوقت، وهي ما يمكن تسميته بطبائع الأشياء. ومعنى ذلك - كما يقول إبراهيم بن عبد الرحمن الأزرق^(١) أن للأشياء في الدنيا خواص وطبائع أربع لا بد من معرفتها وأخذها في الاعتبار عند التشخيص والعلاج. فالدنيا في البدء خلقت من الريح والنار والتراب والماء. وبيانها في الأشياء بالحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة. وتكتسب أعضاء الجسد ومكوناته خواصها من هذه الطبائع الأربعة، فهي إما حارة يابسة أو حارة رطبة أو باردة يابسة أو باردة رطبة - كما هو موضح بالجدول رقم (٢).

طبائع الأشياء	يابس	رطب
حار	حار يابس	حار رطب
بارد	بارد يابس	بارد رطب

الجدول رقم ٢: الطبائع الأساسية للأشياء

أما جسد الإنسان، فبالإضافة إلى أعضائه ومكوناته المعروفة، به أخلاط أربعة هي الصفراء والدم والبلغم والسوداء^(٢). وهذه أيضاً تتصف بما ذكر أعلاه من طبائع. فالصفراء حارة يابسة، والدم حار رطب، والبلغم بارد رطب، والسوداء باردة يابسة. ولكل من هذه الاخلاط موقع في جسد الإنسان. فالصفراء في المرارة والدم في الكبد والبلغم في الرئة والسوداء في الطحال. وتلعب هذه الاخلاط دوراً مهماً في صحة الإنسان ومرضه وتناغم مزاجه. فالدم هو مصدر السرور بينما

(١) "المصدر رقم ١، ص ١٤"

(٢) "المصدر رقم ١، ص ١٤"

الحزن مصدره البلغم. أما الجراحة فهي من الصفراء والخوف من السوداء. وعند تشخيص الداء لابد أن يراعى مصدره وطبعه، ويوصف دواؤه من ضده، كما هو موضح في الجدول ٣.

الأخلاط	الصفراء	الدم	البلغم	السوداء
مسكنها في الجسم	المرارة	الكبد	الرئة	الطحال
طبائعها	حار يابس	حار رطب	بارد رطب	بارد يابس
فصولها	الصيف	الربيع	الشتاء	الخريف
الأطعمة المهيجة (أمثلة)	العسل، الثوم	الحلوى، الطباخ، الدسمة	الألبان، الفواكه	العدس، لحم البقر، الباذنجان
الدواء	كل بارد رطب	كل بارد يابس	كل حار يابس	كل حار رطب
أمثلة على الدواء	سمن الماعز، الشعير، البطيخ	الذرة، اللبن الحامض، العنب، الحجامه، الفصد	العسل، الفلفل، الزنجبيل، القرقة	اللبن، الموز،
علامات المرض	الصداع، صفرة اللون، الدمايل في الرأس،	ارتفاع الحرارة، الرمدم، الجدري	البرص، الفالج، الجرب	شدة العطش، قلة النوم، الجذام، الرعاف

الجدول رقم (٣): الأخلاط وطبائعها وعلاقتها بالفصول والمهيجات والأمراض

وتسحب هذه الطبائع على فصول السنة أيضاً. حيث أجمع الأطباء قديماً على اختلاف طبائع الأبدان باختلاف الفصول. ومع اختلاف طبائعها في الفصول تختلف ردود أفعال الأبدان ودرجات استعدادها للإصابة بالأمراض وتلقي العلاج الذي يختلف بدوره في كل فصل. فالصيف حار يابس تهيج فيه صفرة المرارة وتتسبب حرارته في موت كثير من البراغيث، ويستحب فيه أكل أطعمة محددة تكون لطيفة على المعدة وسهلة الهضم. أما الخريف فيبارد يابس وهوؤه رديء متقلب، ويستحب فيه أكل الأطعمة الحارة. والشتاء بارد رطب تؤكل فيه الأطعمة

الساخنة والقوية كاللحم والسمن. أما الربيع فذو مزاج معتدل ويُصح فيه بتجنب الأطعمة الحارة والمالحة واللحوم. هذه بعض الأمثلة على أهمية أخذ الفصول في الاعتبار عند مباشرة التشخيص والعلاج. وهناك من التفصيل في هذا المجال الكثير مما لا نجد له مثيلاً في علوم الطب الحديث عدا ما لتغير الفصول - بل وحتى ساعات اليوم أحياناً - من تأثير على أنشطة بعض الغدد ومعدل إفرازها للهرمونات^(١).

والأطعمة والأغذية والنباتات التي هي دواء وسبب لكثير من الأمراض لها نصيب من هذه الطبائع، حيث يكون اختيار كل صنف غذائي دواءً بحسب طبيعته التي لا بد أن تكون مُضادة لطبيعة سبب الداء أو الفصل الذي يظهر فيه الداء، كما ورد أعلاه. وقد فصّل الأطباء العرب كثيراً في طبائع أصناف الأغذية. ويوضح الجدول رقم (٤) أدناه خصائص بعض الأغذية التي ذكرت في الوثيقة موضوع الدراسة.

الوصف الغذائي	طبعه
الأرز	يابس حار، وقيل بارد
البصل	يابس حار
البطيخ	رطب بارد
التمر	رطب حار
الثوم	يابس حار
الحلبة	يابس حار
الزبيب	رطب حار
الزنجبيل	يابس حار
العنب	يابس بارد
الفلفل	يابس حار
القرنفل	يابس حار
الموز	رطب حار
اللبن	رطب بارد
لحم الكباش	رطب حار
لحم الماعز	رطب بارد
لحم الدجاج	رطب معتدل

1) Melemed S, Polonsky K. et al. (2011) Williams Textbook of Endocrinology. Philadelphia, Saunders Elsevier.

رطب بارد	لحم السمك
رطب حار	الشحم والسمن
يابس حار	السمسم
يابس بارد	القول

الجدول رقم (٤). خصائص بعض الأغذية كما وردت في كتاب تسهيل المنافع.

يتضح لنا مما سبق أن الأسس المعرفية التي تقوم عليها الممارسة الطبية قديماً لا تختلف في إطارها العام كثيراً عن تلك التي سبق ذكرها في معرض الحديث عن الطب الحديث. وتبرز المعارف الخاصة بجسم الإنسان ووظائفه والأمراض ومسبباتها ثم الدواء وطرق تحضيره كأهم هذه الأسس. لكن اختلافها يكمن في بيان هذه المعارف وتفاصيلها التي تغيرت مع تطور العلوم وأدوات البحث.

الوثيقة موضوع البحث

صنف الشيخ منصور الفارسي الأمراض الواردة في الوثيقة إلى ثمانية أبواب كما يتضح من الجدول رقم (١). تضمن الباب الأول (الجدول رقم ٥) أمراضاً تظهر علاماتها على الجلد تشمل البثور والدمامل والخراجات، وهي في مجملها علامات مرضية تظهر على الجلد بسبب أمراض قد يكون مصدرها الجلد ذاته أو أعضاء أخرى في الجسم. إضافة إلى ذلك ذكر عدداً من الأمراض الجلدية، مبيناً - في جميع الحالات - أسبابها وأعراضها وعلاماتها، ثم واصفاً العلاج المناسب لها. وقد ذكر كذلك مهيجات بعض هذه الأمراض.

أما الباب الثاني (الجدولان ٦ و٧) فقد تضمن أمراضاً قال إنها تنشأ داخل الجسم لكنه لم يشرح ما يعنيه في هذا التصنيف، ولم يبين حدود الداخل والخارج من الجسم. وقد شمل هذا الباب أمراضاً تنشأ في منطقة الرأس والرقبة. فإلى جانب أنواع الصداع التي فصلها، ذكر بعض الأمراض التي تنشأ في الفم والشفيتين والحلق والعين والأنف والأذن والرقبة. كما تطرق للشلل النصفي الذي يصيب الوجه بسبب إصابة العصب السابع. ويبيّن - إلى جانب الأعراض والعلامات - أسباب هذه الأمراض ومهيجات بعض منها، ثم وصف بالتفصيل العلاج المناسب لكل منها. والواضح أنها جميعاً أمراض تظهر في -

وليس بالضرورة تُصيب - منطقة الرأس والرقبة. وعليه، كان يمكن أن تكون تحت باب الرأس والرقبة بدل الأمراض داخل الجسم. هذا إلا إذا كان هناك سبب آخر لم يوضحه الشيخ الفارسي.

وتضمن الباب الثالث أمراضاً تصيب منطقة الصدر (الجدول رقم ٨). حيث ذكر خمسة أمراض فقط من بينها سرطان الثدي عند النساء. وقد فصل كثيراً في ضيق التنفس الذي أرجعه إلى عدة أسباب موضحاً العلاج المناسب لكل تلك الأمراض.

أما الباب الرابع (الجدول رقم ٩) فتضمن عدداً من أمراض أطلق عليها أمراض المعدة. حيث ذكر ما مجموعه ثمانية أمراض تتوزع بين المعدة والأمعاء والكبد، مبيناً أعراضها وأسبابها ومهيجات بعضها بالإضافة إلى تفصيل في كيفية علاجها وتجنب مهيجاتها.

واحتوى الباب الخامس (الجدول رقم ١٠) خمسة عشر مرضاً أدرجها الشيخ الفارسي تحت مسمى الأمراض الباطنية، شملت أمراضاً في الكلى والجهاز البولي وأخرى في الجهاز الهضمي والأمعاء والكبد والقلب، ذكراً وصفها وأعراضها وأسبابها. ثم فصل كثيراً في طريقة علاجها والوقاية منها بتجنب المهيجات.

أما الباب السادس (الجدول رقم ١١) فشمل تسعة أمراض أبرزها الشلل الذي لم يوضح سببه إلا أنه أسهب في وصف علاجه وطرق العناية بالمريض. وإلى جانب الشلل، شمل هذا الباب أمراضاً أخرى متفرقة تنتمي لأكثر من جهاز واحد من أجهزة الجسم كالجهاز الحركي والجهاز التناسلي والجهاز العصبي. وقد أطلق على هذه المجموعة اسم الأمراض الشائعة مبيناً أسبابها وعلاجها.

وشمل الباب السابع (الجدول رقم ١٢) أمراضاً أطلق عليها الشيخ الفارسي أمراض الدم وهي حالات تظهر علاماتها مباشرة في الدم كالصفرة وارتفاع الضغط والنزيف وفقر الدم، موضحاً أسبابها وعلاجها. أما الباب الثامن والأخير (الجدول رقم ١٣) فكان عن أمراض العظام والمفاصل، وشمل ستة أمراض تشمل الكسور وبعض الأعراض التي تظهر في المفاصل.

المُهيجات	السبب	أعراض وعلامات المرض	وصف المرض	المرض
	البرد، الأتربة	احمرار، احتراق، تشقق	بقع على الجلد وفي الرأس	الحزاز
	الدهون الزائدة، الأطعمة القوية			حب الشباب
الحوارف، الدهون، اللحوم	انسداد المسام	بثور، قيح، سيلان، تحشي	حبوب على الفم والأيدي والأرجل	البوشة
	هيجان الدم	ألم، قيح	خُرَاجات صغيرة	الدمامل
	هيجان الدم، حرارة الطقس الزائدة أكل اللحوم والشحوم، عدم النظافة		خُرَاجات كبيرة	الغواذي/ العرائس
	تأكل البشرة		طفح أبيض في جلد الوجه	البهق
الأطعمة الباردة واليابسة	الأطعمة الباردة واليابسة			تشقق الأقدام والأكف وتبيسها
	خلط سوداوي		حبوب صلبة في الأكف والأقدام	الثآليل
الأطعمة الباردة واليابسة	أخلاط صفراوية تمنع وصول الدم إلى البشرة		تحول لون الجلد إلى الأبيض	البرص
الأطعمة الرطبة		ألم، تصبغ	مرض خبيث	اللصعة
	بول الحيوانات والسوائل القذرة	حرقان شديد، انتفاخ، ماء أصفر بين اللحم والجلد	مرض يصيب باطن القدم	الرهصة
	رَضّة، تجمع أوساخ بين اللحم والظفر	التهاب، احمرار، ورم، ألم، قيح	مرض يصيب أصابع اليد	الداخس
	الأطعمة الرديئة، الجفاف، البرد القارس	تأكل في الأطراف، بقع حمراء في الكوع	مرض خبيث معدي	الجذام
	فساد الدم	احمرار، ورم، حمى شديدة، ألم	طالعة خبيثة	حبة الشام
	تجمع أوساخ وسوائل ملوثة		تشقق بين أصابع القدم، تهتك في الجلد، رائحة كريهة	الثدباح
	الهواء البارد الجاف المحمل بالأتربة		جفاف بالجلد في الوجه والكفين وظاهر القدمين والسيقان	الجزم
	زيادة الدهون		حبوب على اللسان والفم وباقي الجسد	الرقية
	تراكم الأوساخ	بثور صغيرة، حكة، ألم، نزيف	مرض جلدي	الجرب
	السقوط على الأرض		كشط في الجلد	السحجات
	النار، السوائل الحارة		الحروق	الحروق
	أداة حادة، سقوط من ارتفاع			الجروح

الجدول رقم (5): باب الأمراض التي تصيب الجلد

المرض	وصف المرض	أعراض وعلامات المرض	السبب	مُهَيِّجَات
الصداع	الصداع النصفي/ الشقيقة	صداع نصفي في الجهة اليسرى من الرأس	هيجان الأعصاب وتقاطعها مع بعضها	العطور، الحرارة والبرودة الزائدتان
	الصداع في عموم الرأس		هيجان الدم	
	الصداع في مؤخرة الرأس	صداع، طنين في الأذن، فقدان الذاكرة.	نزيف داخلي	
	الصداع في الصدغ	صداع في منطقة الصدغ	التهاب الأذن أو الأسنان، هيجان الدم	
	الصداع في قمة الرأس		ورم في الرأس، توقف الدم في العروق المتصلة بالخياشيم أو الأذن أو العينين	
الثقل في الرأس	صداع، دوار		منذر بأمراض خطيرة	
الدوار			انتفاخ المعدة بالرياح الباردة، ضربة الشمس	
ثقل السمع			تيبس العروق الواصلة بين طبلة الأذن والمخ، تجمع الأتربة داخل الأذن، صدمة إثر سقوط من علي.	
تقيح الأذن			التهاب	
اللقوة	ريح يضرب الوجه	ثقل وعين وتشنج في الخد	ريح يضرب الوجه	الهواء، الماء البارد، الهواء البارد
التهاب الأذن				
تشقق الشفتين			اضطراب المعدة	
التهاب اللثة				
ورم اللسان	داء الكلب، السعار		عضة الكلب المسعور أو الثعلب المسعور	
ألم الأسنان			عصبي: البرودة أو الحرارة. جانبي: تسوس الأسنان	
المحبل	خرّاج في اللثة		تراكم فضلات الطعام بين الأسنان واللثة	
الجرح بداخل الفم	جرح داخل الفم		الاسنان، أداة حادة	
الزكام			تغير درجة حرارة الهواء بين الفصول	
العظم إذا علق بالحلقي				

المرض	وصف المرض	أعراض وعلامات المرض	السبب	مُهَيِّجَات
التخش	ألم في الخياشيم	ألم، سيلان القيح	ضربة على الجبين، عطاس حاد، هواء حار	
الرعاف	نزيف من الأنف		تمزق بأحد عروق مقدمة الرأس بسبب الحر الشديد	
فقدان حاسة الشم	تيبس العروق المتصلة بالدماع		خلقي، إصابة	

الجدول رقم (٦): باب أمراض الرأس والرقبة (أمراض تنشأ داخل الجسم حسب وثيقة الشيخ الفارسي)

المرض	وصف المرض	أعراض وعلامات المرض	السبب	مُهَيِّجَات
الرمد			نفحة حرارة أو برودة تصيب العين	
الماء الأبيض				
الماء الأسود				
الظفرأء	غشاء شحمي ينبت يزحف على البصير			
ضعف البصر			غشاوة على البصر أو ضعف العروق	
الهدوب	نبات الشعر في مشافر العين من الداخل		انعكاس الأهداب	
الرمد الصيفي			هيجان الدم، شدة الحرارة	
الرمد الربيعي			الأتربة	
الدمع المتواصل			تهيج العروق وزيادة الرطوبة بالعين	أشعة الشمس، الحرارة، الغبار، الروائح النفاذة
العشا	فقدان البصر ليلاً		خلط سوداوي	البقول، الأسماك الجافة والمملحة
جرب العين	حب صغير في العين		الحرارة، الأتربة، عدم النظافة، اضطراب الهواء	
الحول الطارئ			ارتخاء العروق المتصلة بالملتفة	

الجدول رقم (٧): باب أمراض العين (من الأمراض التي تنشأ داخل الجسم حسب وثيقة الشيخ الفارسي)

المرض	وصف المرض	أعراض وعلامات المرض	السبب	مُهَيِّجَات
ضيق التنفس	سيلان الرئة واعتلالها		دخول الأتربة والأدخنة إلى الرئة، البرد الشديد، ريح ذات الجنب، السل	
التهاب القصبة الهوائية			البرد الشديد بعد حرارة	
التهاب اللوزتين				
اعوجاج القفص الصدري عند الأطفال	حمى، اهتزاز، تقوس في الرأس، قلت في رسغ اليدين والرجلين			البرد والهواء
الشبرة لدى النساء	سرطان الثدي	ورم في الثدي، ألم		

الجدول رقم (٨): باب أمراض الصدر

المرض	وصف المرض	أعراض وعلامات المرض	السبب	مُهَيِّجَات
التخمة	انتفاخ البطن وضيق	جشاء برائحة كريهة	الطعام الزائد وسوء الهضم	شرب الماء
المغص			دخول شيء مؤثر على المعدة، ريح متحجر	
النفخة	انتفاخ في البطن	انتفاخ في البطن	أكل الأطعمة الراحية مثل البصل والفجل والجرجير	
الاستسقاء Ascites	مرض خطير	ورم في البطن، ضيق تنفس، ألم حاد، فقدان الشهية	تجمع مياه في البطن بسبب الإفراط في أكل الملح	
الإسهال الحاد			الطعام البارد اليابس ولحم البقر أو اللحم المملح، أو الأطعمة الفاسدة	
تقرح المعدة		مغص، انتفاخ البطن صباحاً، دم في البراز		
جبن المعدة		الشعور بالشبع، عسر الهضم، نحول الجسم، خمول، جشاء		
الإمساك		الأطعمة الجافة كالرز، أكل الحوامض، التقليل من شرب الماء		

الجدول رقم (٩): باب أمراض المعدة

المريض	وصف المرض	أعراض وعلامات المرض	السبب	مُهَيِّجَات
ذات الجنب	سيلان الطحال وتضخمه	ألم في الجانب الأيسر، ورم، حمى.		
التهاب الكلى		تغير لون البول إلى الأصفر القاتم، ألم أسفل الظهر، حرقان في مجرى البول	التقليل من شرب الماء، شرب الماء غير الصافي	
حصى الكلى		ألم شديد في الجنب وأسفل الظهر		
ضمور الكلى		نفس أعراض الحصى + حمى، ضعف في الجسم، سلس البول	حمل الأثقال، التقليل من شرب الماء، الإكثار من أكل البقوليات	
سلس البول		عدم التحكم في البول	تراخي أعصاب المثانة وضعف العضلات	
حصى المثانة			أكل البقوليات فتتراكم بقاياها	
حصى المرارة	خلل في إفراز سائل المرارة	التقيؤ، ألم المعدة، عسر الهضم، ضيق التنفس	أكل البقوليات، الغضب المستمر، عدم الحركة	
وجع القلب			ريح في المعدة يصيب القلب، تكديس الدهون في العروق	
التهاب الكبد	اصفرار الجسم، ضعف وهزال		الإفراط في أكل السكر	
ريح الفتق	ورم بين الفخذ والخصية في جانب واحد أو الجانبين،		الحمل الثقيل، كثرة الجماع	
القولنج	ريح المعدة والقولون (انسداد القولون)	ألم ومغص	جفاف القولون، تحجر محتويات القولون، الغضب والقلق	
البواسير		حكة في الشرج، تورم، ظهور خراجات على الخاتم	طول جلوس القرفصاء، قبض البطن، الإكثار من أكل الأبرزة، كثرة الجماع، حمل الأثقال	
الناصور	مرض يحدث بين الخصيتين وفتحة الشرج	ألم شديد		
الشيصة	خراج داخل الجسم في الجانب الأيسر (الضامرة)	حمى، قيء، فقدان الشهية	احتقان الدم والتهاب	

الجدول رقم (١٠): باب الأمراض الباطنية

المرض	وصف المرض	أعراض وعلامات المرض	السبب	مُهَيِّجَات
الشلل				
داء الفييل	ورم الركبتين			
داء الثعلب	سقوط الشعر		تلف البصيلات المنبئة للشعر	البرد الشديد
الباردة	الشعور بالبرد		الضعف العام للجسم	
آلام الركب			نفاذ المادة الزلالية بين المفاصل مما يسبب احتكاك العظام.	
الضعف في الحركة عند الرجال	الفتور الجنسي عند الرجال			
سرعة القذف				
القيء			الطعام الملوث، زيادة الأكل، مرض في عنق المعدة	
التشنج في الأعصاب	الصرع أو الضرع		المشي الطويل، المشي على الرمال أو الجبال مما يسبب تلفا في الأعصاب	
ريح الفالج		تيبس الجسم، اهتزاز في الأطراف، رعشة في الجسم	البرد القارس	

الجدول رقم (١١): باب الأمراض الشائعة

المرض	وصف المرض	أعراض وعلامات المرض	السبب	مُهَيِّجَات
أبو صفار	اليرقان	الضعف، الهزال، فقدان الشهية	فيضان المادة الصفراء من المرارة واحتلالها للكبد مما يسبب اختلاطها بالدم	
أبو صفار الأسود	اليرقان الأسود	الضعف العام، اغبرار لون الجسد، فقدان الشهية	اعتلال الكبد بالالتهاب الحاد وتمزقها	
فقر الدم		الضعف العام والوهن، بياض حاد في الجسم والعينين		
هيجان الدم		ثقل في الرأس والأرجل، دوار		
ضغط الدم		عنن في الأطراف، صعوبة الرؤية		
الرعاف	سبق ذكره			
نزيف اللثة			تدفق الدم الزائد	

الجدول رقم (١٢): باب أمراض الدم

المريض	وصف المرض	أعراض وعلامات المرض	السبب	مُهيِّجات
النقرس			الإدمان على أكل اللحم (البقر)	
ألم المفاصل			التهاب في الأعصاب	
الماء في الركبة			إفرازات صفراء بسبب أكل الأطعمة الباردة أو من طول الجلوس أو الوقوف	
الفلت	إما الفلت الكامل أو الجزئي وهو تحرك المفصل من موضعه			
الكسور			الحوادث بأنواعها	
كسر صلابة الظهر والفقرات				

الجدول رقم (١٢): باب أمراض العظام والكسور

تحليل الوثيقة:

التشخيص والعلاج في ضوء منهجيتين مختلفتين

بلغ عدد الأمراض التي جاء ذكرها في الوثيقة ١٢١ مرضاً، مضافاً إليها جميعاً طريقة العلاج. أما وصف المرض وأعراضه وعلاماته وأسبابه ومهيِّجته فلم تذكر إلا لبعضها.

ليس من العدل الحكم بصواب أو خطأ ما جاء في وثيقة علاجات الشيخ منصور الفارسي على ضوء المنهجية الحديثة المتبعة في تشخيص وعلاج الأمراض أو تفنيد أسبابها. فهذا لم يكن هدف هذا البحث. كما أن الحكم على المنهجية المتبعة هنا من قبل الشيخ الفارسي يُعد حكماً على المنهجية القديمة بأكملها، وهذا يجانب العدل أيضاً إذا ما قيست المنهجية القديمة بالحديثة. فهناك اختلاف واضح بين الطريقتين ليس فقط فيما يتعلق بمسببات الأمراض وعلاجها، بل حتى في وصف بعض الأمراض التي لا تعدو كونها أعراضاً أو علامات لأمراض باطنية أخرى حسب تصنيف الطب الحديث لها، مثل البثور والخراجات واليرقان وغيرها.

إن الطب الحديث ينطلق في تعامله مع المرض من فهم متعمق مبني على التجربة

المختبرية لتشريح ووظائف الجسم البشري على جميع مستوياته بدءاً بالأجهزة المتكاملة للجسد مروراً بالأعضاء المكونة لهذه الأجهزة فالأنسجة التي تتألف منها هذه الأعضاء ثم الخلايا الموجودة في تلك الأنسجة فالعضيات التي تسبح في الخلية الحية والعناصر التي تتفاعل في الخلية وخارجها. وبعد توظيف علوم التشريح والفسولوجيا والكيمياء في فهم ميكانيكية ووظائف وتفاعلات الجسد الطبيعية التي هي قوام حياة الكائن البشري الطبيعية، يتم توظيف علوم أخرى كثيرة من بينها علوم الأمراض بأنواعها المتعددة وعلوم الأحياء الدقيقة البكتيرية والفيروسية وعلم الكيمياء الحيوية والفسولوجيا وعلوم الجينات والأحياء الجزيئية إلى جانب علوم الإحصاء، لفهم الأمراض وتأثيرها على مجريات العمليات الطبيعية للجسم البشري. وترصد التكنولوجيا المتطورة في أشكالها المختلفة - المختبرية والإشعاعية وغيرها - الطب الحديث بأنواع شتى من وسائل التشخيص التي تقيس التغيرات التي يحدثها المرض على العمليات الحيوية الطبيعية للجسم، فهي بذلك مكملة لعملية الرعاية الطبية وفهم المرض بكافة مراحلها بما في ذلك مرحلة ما بعد العلاج ودرجة استجابة الجسم له. وتساهم التكنولوجيا الحديثة كذلك في اكتشاف وتصنيع الأدوية ووسائل العلاج المتنوعة سواء كانت مواد كيميائية أو أدوات جراحية أو غيرها من طرق العلاج الكثيرة.

ونظراً للتطور المستمر في أفرع العلوم المختلفة والذي يعكس البحث المستمر والتقني الدؤوب في جميع مجالاته، فإن الطب الحديث يواكب هذا التطور بتوظيف مخرجات البحوث العلمية في عمليات التشخيص والعلاج والوقاية. أما المنهجية التي يعتمدها الطب القديم في التشخيص والعلاج فهي خليط من التجارب العملية والملاحظات والتطبيقات والمجربات مما وصل إليه العلم حينها، بالإضافة إلى الكثير من التصورات الفلسفية والدينية عن جسم الإنسان وأخلاقه وتأثير الطبيعة ومكوناتها وطبائعها في نشوء المرض وظهور علاماته وطرق علاجه، مما سبق ذكره.

وللتدليل على ذلك تم تحليل وثيقة الشيخ منصور الفارسي في ضوء النظرية الطبية القديمة لاستخلاص المعطيات الأساسية التي يقوم عليها تناول المرض

من حيث تحليل مسبباته وتشخيصه وعلاجه، وذلك بغية فهم المنهجية التي يقوم عليها التعامل قديماً مع المرض. وهنا عرض لنتائج هذا التحليل.

أولاً: وصف الأمراض وتصنيفها

يتضح لنا من خلال دراسة عملية التبويب التي اتبعها الشيخ الفارسي للأمراض والموضحة في الجدول رقم (١) أن التصنيف يختلف عن ذلك المتبع في كتب الطب الحديث. حيث أنه تصنيف تشريحي ينسب المرض إلى الجزء من الجسد - وليس الجهاز الوظيفي - الذي ظهر فيه المرض. وهذا التصنيف مشابه لذلك الذي في كتاب فاكهة ابن السبيل للشيخ راشد بن عميرة الرستاقى. ويختلف هذا التصنيف عن ذلك المتبع في كتب الطب الحديث في كون عدد من الأمراض المذكورة أعراض في حقيقتها. ومثال ذلك أن الصفار الذي يظهر على الجسد مثلاً ليس سوى عرض لأمراض مختلفة في مسبباتها وبالتالي في طرق علاجها. ولعل السبب في ذلك يعود للاختلاف عن العلم الحديث في فهم وظائف الأعضاء وطبيعة ارتباطها ببعض، بالإضافة إلى اختلاف الفهم في طبيعة الأمراض ومسبباتها.

ثانياً: مسببات الأمراض

يمكن تصنيف الأسباب التي وردت في وثيقة الشيخ الفارسي إلى سبع مجموعات حسب ما هو مبين في الجدول رقم (١٤) أدناه. حيث يتضح لنا تكرار الأسباب نفسها في تفسير أمراض مختلفة. وتتصدر الأخلاط وما يعترها من خلل قائمة هذه الأسباب. حيث عبّر عنها الشيخ الفارسي بمصطلحات مختلفة كهيجان الدم والخلط الصفراوي والخلط السوداوي وفساد الدم، واستعمل كلمة التهاب واحتقان في أكثر من موضع. لكن جميع هذه الأوصاف تشير إلى خلل في الأخلاط كما اتضح لاحقاً من العلاج الموصوف في كل من هذه الأمراض. ثم تأتي مباشرة بعد ذلك الأنماط الغذائية وما يرتبط بطبيعة الأطعمة والنباتات. وقد وردت هذه في وثيقة الشيخ الفارسي تحت أوصاف مختلفة من قبيل الأطعمة القوية والأطعمة الباردة أو الحارة أو اليابسة أو الرطبة. كذلك ورد التصريح بالأطعمة ذاتها بدون الإشارة إلى طبيعتها كاللحوم والشحوم والبقوليات والسكر والملح والحوامض والبهارات.

تكرار ذكرها	الأسباب
٣١	خلل في الأخلاط
٢٣	خلل في الغذاء
١٦	التلوث وانعدام النظافة
١٥	تغيرات الطقس
١٤	الحوادث
١٠	التهاب
٢	نمط سلوكي

الجدول رقم (١٤): مسببات الأمراض كما وردت في وثيقة الشيخ الفارسي

أما تغيرات الطقس فقد جاءت ثالثا بالتساوي تقريبا مع انعدام النظافة كسبب رئيسي للأمراض. وهذه ذكرها الشيخ الفارسي بكلمات مثل الحر والبرد والجفاف واليباس. وهي تعكس طبائع الفصول وتأثير ذلك على جسم الإنسان وعلاقتها كمسببات ومهيجات للأمراض.

ثالثا: العلاج

يوضح الجدول رقم (١٥) أنواع العلاجات الواردة في وثيقة الشيخ الفارسي، والتي يمكن حصرها جميعا في عشر مجموعات. تتصدر الوصفات الموضعية المعدة من قبل الطبيب قائمة هذه المجموعات، حيث يقوم الطبيب بتحضيرها عبر خلط مكوناتها التي عادة ما تكون غذائية أو عشبية. ثم توضع على موقع المرض، فتكون على شكل ضمادة أو دهان أو غرغرة.

العدد	نوع الوصفة
٦١	وصفات موضعية (مرهم، ضمادة، دهان، قطور، النشوق)
٥٢	وصفات غذائية (أكل أو تجنب أكل)
٤٣	دواء مُحضَر يُتناول عن طريق الفم
١٤	جراحة (تشطيب، إزالة ورم، إزالة ماء العين)
١٣	كيّ
٦	تغيير سلوكي (تجنب الشمس، زيادة الحركة، تقليل الحركة)
٥	النظافة
٣	الكن
١	العزل

الجدول رقم (١٥): العلاجات الواردة في وثيقة الشيخ الفارسي

والملاحظ أن مكوناتها الصلبة عادة ما تخلط في سائل يكون في الغالب زيتاً كزيت السمسم أو زيت الزيتون، أو أنواع أخرى من السوائل كماء الورد أو عصير مستخلص من الأعشاب. ويوضح الجدول رقم (١٦) بعض هذه الوصفات الموضعية ومكوناتها مع إشارة إلى المرض الذي من أجله تم تحضير الوصفة.

المرض	مكونات الوصفة الموضعية
الدمامل	الثوم، الياس، الكركم
حب الشباب	زعفران، صندل، ماء الورد
الخراجات الكبيرة	شرجبان، ثوم، ملح، كركم، زيت السمسم أو الزيتون
اللصّة	دقيق النوى، الملح، الكركم، اليمون اليابس، زيت الزيتون
الرهصة	الحناء، الرمان، دقيق الحرمل، دقيق الياس، الورد، الشب، زيت السمسم، زيت الزيتون

الجدول رقم (١٦): مكونات بعض الوصفات الموضعية الواردة ضمن علاجات الشيخ الفارسي

ولا شك في أن لطريقة فهم مسببات المرض دوراً في كون هذه الوصفات الموضعية هي المتصدرة لكافة أنواع الأدوية. وذلك يعود لكون تصنيف الأمراض موضعي تشريحي، حيث يُنسب المرض إلى مكانه وليس إلى الجهاز أو التكوين الفسيولوجي له. فالدمامل التي يعللها الطب الحديث بانها التهاب بكتيري يتم علاجها بتناول المضادات الحيوية عن طريق الفم أو الوريد إلى جانب المراهم، تُعالج هنا بوضع الدواء عليها مباشرة. وتتوافق الخلطات المستعملة في هذه المجموعة من الأدوية مع مسببات الأمراض من حيث كونها مضادة لها أو مهدئة. أما الوصفات الغذائية فتكون على شكل نصائح للإكثار من تناول نوع معين من الطعام أو التقليل من تناوله أو الامتناع عنه. وتنسجم هذه النصائح الغذائية مع النظرية الطبية التي يقوم عليها التشخيص والعلاج. فالامتناع يكون عن الأطعمة التي تتسبب طبيعتها في نشوء المرض أو تهيجه، بينما الإكثار يكون في الأطعمة التي تساعد طبيعتها في الشفاء من المرض. فإذا كانت الأطعمة المسببة حارة يابسة نصح بتجنبها ووجب تناول البارد الرطب من الأطعمة، وهكذا. ولأجل ذلك لا تخلو أية وصفة علاجية تقريباً من نصيحة غذائية حتى في وجود وصفة موضعية أو مأكولة.

وتأتي في نفس مستوى أهمية المجموعتين السابقتين تقريباً الوصفات التي يتناولها المريض عن طريق الفم. وهذه وصفات يتم تحضيرها من قبل الطبيب لغرض ابتلاعها. الجدول رقم (١٧) يشتمل على بعض هذه الوصفات.

المرض	مكونات الوصفة المأكولة
الدوار	عصير الليمون، الماء، السكر
اللقوة	الزنجبيل، القرنفل، الملح، الزيت
المغص	منقوع النعناع والزعتر والكمون
التهاب الكلى	مطبوخ الحلبة والجلجلان مع السكر
حصى المثانة	عصير رؤوس الفجل، الماء، السكر
حصى المرارة	مطبوخ أوراق الخيار والقرع والفجل

الجدول رقم (١٧): بعض الخلطات الدوائية المأكولة التي وردت في وثيقة الشيخ الفارسي

الجدير بالذكر أن هذه الوصفات ليست عشوائية في مقاديرها ولا في جرعاتها، بل لها مقادير محددة من حيث كمية المخلوطات وعدد مرات طبخها وتقطيرها، وكذلك الجرعة الواجب تناولها من حيث مقدار الجرعة الواحدة وعدددها. يتضح ذلك في وصفات الشيخ الفارسي كما هو الحال في مراجع الطب القديم.

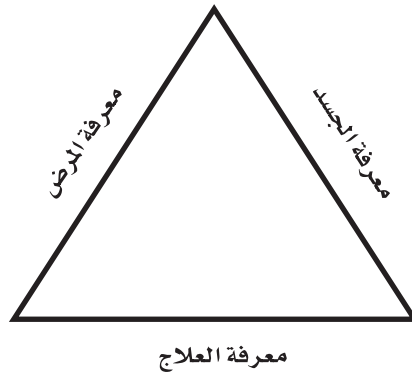
إن تصدر هذه المجموعات الثلاث من العلاجات قائمة العلاجات السائدة في الطب القديم، يتماشى تماماً مع الفلسفة التي يقوم عليها هذا العلم والمنهجية التي تُعلل بها الأمراض وتُعالج. وبالإضافة إلى هذه العلاجات الرئيسية تبرز علاجات أخرى ذات أهمية مشابهة لكنها أقل ممارسة منها، وهي الكي والجراحة والكن الذي هو نوع من العزل، ولكن ليس لاحتواء العدوى الميكروبية كما في الطب الحديث، بل لإيجاد بيئة حارة خالية من الهواء المتجدد لمريض الشلل. ولا تخرج هذه العلاجات كذلك عن الإطار العام الذي يُحدد مسببات ومهيجات المرض.

الخاتمة

يستعين الطبيب الذي يستقبل مريضاً في عيادته هذه الأيام بخارطة ذهنية للأمراض وأعراضها وعلاماتها ومُسبباتها تعينه على وضع الأعراض التي يشتكي منها المريض وعلامات المرض التي يكتشفها هو على جسد المريض أثناء الفحص السريري، في مواضعها على تلك الخريطة الذهنية ما يشكل بداية الطريق نحو تشخيص المرض. ثم يستعين بعد ذلك بما لديه من فحوصات مخبرية وغير مخبرية؛ ليؤكد التشخيص الذي ذهب إليه في البداية أو ينفيه. ويأتي العلاج بعد هذا كله ملائماً للمرض الذي تم تشخيصه. فالعلاج هو الآخر مبني على فهم للخلل التشريحي أو الوظيفي الذي أحدثه المرض.

حاولت هذه الورقة - من خلال تحليل لقائمة طويلة من التشخيصات والعلاجات المأثورة عن الشيخ منصور بن ناصر الفارسي - أن تقترب من عقل الطبيب القديم لتتعرف على الخارطة الذهنية التي يسير على هداها لتشخيص وعلاج الأمراض.

يتضح لنا مما سبق بأن المعارف اللازمة لممارسة الطب قديماً وحديثاً تتلخص في معرفة للجسد الذي يطرأ عليه المرض، ومعرفة للمرض الذي يهاجم الجسد، ومعرفة للعلاج الذي يقضي على المرض أو يحد من هجومه. هذه هي إذاً الأضلاع الثلاثة التي تشكل المثلث الذي يعكس فلسفة الطب بشكل عام، كما في الشكل رقم (٢).



الشكل رقم (٢): مكونات المعرفة الطبية

كما يتضح لنا كذلك بأن هذه المعارف تعتمد كثيراً على بعضها البعض. فطبيعة المعرفة الخاصة بالجسد ووظائفه تحدد نوع الخلل الذي يصيبه والذي هو المرض. أما العلاج فتحده كذلك طبيعة الخلل الذي أحدثه المرض. ومن هنا، وعلى أساس هذه العلاقة البنيوية، تنشأ المنهجية التي تحدد أسس التعامل مع المرض تشخيصاً وعلاجاً في كلا المدرستين، والتي هي موضوع البحث في هذه الورقة. ويمكن القول إنه لا اختلاف هنا بين المدرستين القديمة والحديثة من حيث طبيعة العلاقة التي تحكم المعارف اللازمة لممارسة الطب. وجه الاختلاف يكمن فقط في طبيعة هذه المعارف وماهيتها، وفي المخزون المعرفي الذي يستدعيه الطبيب عند ممارسته لمهنته. هذا الاختلاف واضح أولاً في طبيعة المعرفة الخاصة بالجسد ومكوناته. فهي في السابق كانت مبنية على ما توفر من معارف عملية في التشريح والوظائف، وأخرى مُستقاة من علوم أخرى نظرية كالفلسفة والأديان شكلت رافداً لما يمكن تسميته بعلم الأمراض ومسبباته. أما الآن فهذه العلوم عملية تطبيقية صرفة تضبطها مُحددات علمية صارمة. والاختلاف كذلك واضح في طبيعة المرض ومسبباته التي يعتمد عليها العلاج الذي هو مختلف كذلك بسبب اختلاف الفهم لطبيعة المرض.

هناك إذاً منهجية واضحة للتعامل مع المرض عند الأطباء قديماً. فالطبيب الحاذق لم يكن مجرد عطار يبيع الأعشاب والأدوية، ولم يكن كذلك مجرد حافظ لبعض الممارسات العلاجية، بل هو عالم ينطلق في ممارساته من دراية عميقة بالمعارف المؤسسة للطب في زمانه والتي تشمل معرفة بالجسد والمرض والعلاج والعلاقة المركبة بين هذه المعارف.

المصادر

- الأزرق، إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر: تسهيل المنافع في الطب والحكمة، ط٢، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٢٦هـ / ٢٠١٥م.
- أطفيش، محمد بن يوسف: تحفة الحب في أصل الطب، ط١، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

- الموسوعة العمانية، المجلد السادس، ط ١، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- بن مراد، إبراهيم: بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- بن ميلاد، أحمد: الطب العربي التونسي، ط ١، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م.
- داود، سليمان داود: النباتات الطبية لأبي محمد الأزدي الصحاري، ط ١، دار الحكمة، لندن، المملكة المتحدة، ٢٠٠٥م.
- الرستاق، راشد بن عميرة بن هاشم العيني: مختصر فاكهة ابن السبيل، ط ١، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٢٧هـ / ٢٠١٦م.
- الرستاق، راشد بن عميرة بن هاشم العيني: منهاج المتعلمين، ط ١، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- السباعي، زهير أحمد. البار، محمد علي: الطبيب أدبه وفقهه، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- قائمة علاجات الشيخ منصور بن ناصر الفارسي. (وثيقة جمعها الشيخ ناصر بن منصور الفارسي - غير منشورة).

المصادر الإنجليزية

- Larry J., Jameson A. et al. (2015) Harrison's Principles of Internal Medicine. New York, McGraw-Hill.
- Melemed S, Polonsky K. et al. (2011) Williams Textbook of Endocrinology. Philadelphia, Saunders Elsevier.